الاحرف السبعة

ورد إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل شيخ عموم المقارىء المصرية السؤال التالى :

ما معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ؟

الجواب

ينحصر الكلام على هذا الحديث فى أربعة مباحث وتتمة :

الأول : فى بيان طرقه .

الثانى : فى سبب ورود القرآن على سبعة أحرف .

الثالث : فى بيان المراد بهذه الأحرف السبعة .

الرابع : فى بيان اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير ، لااختلاف تضاد وتناقض . والتتمة فى بيان فوائد اختلاف القراءات .

وها أنذا أذكر لك شيئاً من كل منها ، فأقول :

المبحث الأول فى بيان طرق هذا الحديث

روى بالطرق الصحيحة عن جمع من الصحابة ، وتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ماتيسر منه » روى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت : من أقراك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها ؟ فقال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : كذبت فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله ، اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها، فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » . وفى لفظ للبخارى أيضاً عن عمر أيضاً : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحديث

وفى لفظ مسلم عن أبى بن كعب «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بنى غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف، فقال : « سل الله معافاته ومعونته فان أمتى لا تطيق ذلك». ثم أتاه الثانية على حرفين، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة بثلاثة، فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا» . ورواه أبو داود والترمذي وأحمد . وفى لفظ للترمذى أيضاً عن أبى قال : « لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المروة ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : إنى بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفانى والعجوزة الكبيرة والغلام. قال : فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف . قال الترمذى: حسن صحيح . وفى لفظ: فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ . وفى لفظ حذيفة : فقلت يا جبريل إنى أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتابا قط . قال : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف». وفى لفظ لأبى هريرة : «أنزل القرآن على سبعة أحرف: عليما حكيما غفوراً رحيما » . وفى رواية لأبى : دخلت المسجد أصلى فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ فخالفنى فى القراءة، فلما انفتل قلت: من أقرأك ؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء رجل فقام وصلى فقرأ فافتتح النحل فخالفنى وخالف صاحبى، فلما انفتل

قلت من أقراك؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد ما كان فى الجاهلية ، فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت استقرىء هذين . فاستقرأ أحدهما فقال: أحسنت . فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى بيده فقال: أعيذك يا أبى من الشك !. ثم قال : إن جبريل عليه السلام أتانى فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت: اللهم خفف عن أمتى . ثم عاد فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت: اللهم خفف عن أمتى، ثم عاد فقال إن ربك عزوجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة . الحديث . وواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده بهذا اللفظ . وفى لفظ لابن مسعود : فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه . وفى لفظ لأبى بكرة : كل شاف كاف مالم يختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب . وهو كقولك : هلم وتعال وأقبل وأسرع واذهب واعمل . وفى لفظ لعمرو بن العاص : فأى ذلك قرأتم فقد أصبتم، ولا تماروا فيه فان المراء فيه كفر .

وقد وقع لجماعة من الصحابة نظير ما وقع لعمر مع هشام .

فمن ذلك ما وقع لأبى بن كعب مع ابن مسعود فى سورة النحل كما تقدم .

ومنه ما أخرجه أحمد عن ابن قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو: أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هى كذا وكذا . فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه » . إسناده حسن .

ولأحمد أيضاً وأبى عبيد والطبرى من حديث أبى جهم بن الصمة: أن رجلين

اختلفا فى آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث عمرو بن العاص .

وللطبرى والطبرانى عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأنى ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبى ابن كعب فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي إلى جنبه ، فقال علي: ليقرأ كل إنسان منكم كما علم ، فانه حسن جميل .

ولابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود: أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من آل حم، فرحت الى المسجد فقلت لرجل:اقرأها،فاذا هو يقرأ حروفا ما أقرؤها،فقال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه ، فتغير وجهه وقال : إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف ، ثم أسر إلى علي شيئاً، فقال علي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم . قال : فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفا لا يقرؤها صاحبه .

وقال الشمس ابن الجزرى فى نشره : وقد نص الامام الكبير أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله على أن هذا الحديث تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

« قلت» :وقد تتبعت طرق هذا الحديث فى جزء مفرد جمعته فى ذلك فرويناه من حديث عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم بن حزام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبى هريرة ، وعبد الله ابن عباس ، وأبى سعيد الخدرى ، وحذيفة بن اليمان ، وأبى بكرة ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وسمرة بن جندب ، وعمر بن أبى سلمة ، وأبى جهم ، وأبى طلحة الأنصارى ، وأم أيوب الأنصارية ، رضى الله عنهم .

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى سنده الكبير : أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال يوماً وهو على المنبر : أذكر الله رجلا سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، لما قام . فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف » . فقال عثمان رضى الله عنه : وأنا أشهد معهم .

المبحث الثانى فى سبب ورود القرآن على سبعة أحرف

قال الشمس ابن الجزرى : فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة ، وإرادة اليسر بها والتهوين عليها ، شرفاً لها وتوسعة ورحمة ، وخصوصية لفضلها ، وإجابه لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق حيث أتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف ، فقال صلى الله عليه وسلم : سل الله معافاته ومعونته ، إن أمتى لا تطيق ذلك . ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف . وفى الصحيح أيضاً : « إن ربى أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هون على أمتى ، ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة حرف » . وكما ثبت صحيحاً أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعه أحرف ، وأن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد . وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم عربيهم وأعجميهم ، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم . فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن

ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع ، وما عسى أن يتكلف المتكلف ، وتأبى الطباع . . . انتهى .

وقال الامام أبو محمد بن عبدالله بن قتيبة فى كتاب المشكل : فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرىء كل أمة بلغتهم وماجرت به عاداتهم. فالهذلى يقرأ «عتى حين» يريدحتى حين هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدى: يعلمون وتعلم وتسود وجوه . وألم إعهد إليكم بكسر حرف المضارعة .والتميمى يهمز والقرشى لا يهمز. والآخر يقرأ قيل لهم وغيض الماء باشمام الضم مع الكسر، وبضاعتنا ردت إلينا باشمام الكسر مع الضم ، ومالك لا تأمنا . باشمام الضم مع الادغام .

قال العلامة ابن الجزرى : وهذا يقرأ عليهم وفيهم بضم الهاء . والآخر يقرأ عليهم ومنهم بالصلة . وهذا يقرأ قد أفلح وقل أوحى وخلوا إلى بالنقل . والآخر يقرأ موسى وعيسى ودنيا بالامالة . وغيره يلطف . وهذا يقرأ خبيراً وبصيراً بترقيق الراء ، والآخر يقرأ الصلاة والطلاق بتفخيم اللام إلى غير ذلك... انتهى .

قال ابن قتيبة : ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتباره طفلا ويافعا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولا يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً فى اللغات ومتصرفاً فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين . اه

وأيضاً النبى صلى الله عليه وسلم تحدى بالقرآن جميع الخلق : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله...» الآية. فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم : لو أتى بلغتنا لأتينا بمثله ، وتطرق الكذب إلى قوله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

« يتبع »

على محمد الضباع

شيخ عموم المقارىء المصرية

الأحرف السبعة

- ٢ -

المبحث الثالث فى بيان المراد بهذه الأحرف السبعة

قال الشمس ابن الجزرى : وقد اختلفت أقوال العلماء فى المراد بهذه الأحرف السبعة على نحو من أربعين قولا، مع إجماعهم على أنه ليس المراد بها قراءات سبعة من القراء كالسبعة المشهورين وإن كان يظن ذلك بعض العوام، لأن السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا ، وأول من جمع قراءاتهم : أبو بكر بن مجاهد فى أثناء المائة الرابعة ، فلو كان الحديث منصرفاً إلى قراءة السبعة المشهورين أو سبعة من القراء الذين ولدوا بعد التابعين لأدى ذلك إلى أن يكون الخبر عاريا عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء السبعة الأئمة فتوجد عنهم القراءة ، ولأدى أيضاً إلى أنه لايجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به. وهذا باطل، إذ طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة، لفظاً عن لفظ ، إماماً عن إمام ، إلى أن تتصل بالنبى صلى الله عليه وسلم . ومع إجماعهم أيضاً على أنه ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه ، إذ لايوجد ذلك فى كلمة من المشهور .

وأصح الأقوال وأولاها بالصواب ، وهو الذى عليه أكثر العلماء ، وصححه البيهقي، واختاره الأبهرى وغيره، واختاره فى القاموس — أن المراد بالأحرف أوجه

من اللغات . وذلك لأن الحرف يطلق لغة على الوجه ، ومنه قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » .

قال الحافظ أبو عمرو الدانى : معنى الأحرف التى أشار إليها النبى صلى الله عليه وسلم ههنا يتوجه إلى وجهين :

أحدهما : أن يعنى أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات ، لأن الأحرف جمع حرف فى القليل كفلس وأفلس، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: « ومن الناس من يعبد الله على حرف » الآية ، فالمراد بالحرف هنا الوجه ، أى على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فاذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه الله بالشدة والضر ترك العبادة وكفر، فهذا عبد الله على وجه واحد ، فلهذا سمى النبى صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً ، على معنى أن كل شىء منها وجه .

والوجه الثانى: أن يكون سمى القراءات أحرفاً على طريق السعة كعادة العرب فى تسميتهم الشىء باسم ما هو منه ، وما قارب وجاوره وكان كسبب منه، وتعلق به ضرباً من التعلق ، كتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى النبى صلى الله عليه وسلم القراءة حرفاً وإن كانت كلاما كثيراً ، من أجل أن منها حرفاً قد غير نظمه أو كسر أو قلب إلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص منه على ماجاء فى المختلف فيه من القرآن، فسمى القراءة إذا كان ذلك الحرف منها حرفاً على عادة العرب فى ذلك ، واعتماداً على استعمالها . انتهى

قال الشمس ابن الجزرى : وكلا الوجهين محتمل ، إلا أن الأول محتمل احتمالا قوياً فى قوله صلى الله عليه وسلم «سبعة أحرف» أى سبعة أوجه وأنحاء . والثانى محتمل احتمالا قوياً فى قول عمر رضى الله عنه « سمعت هشاما يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أى على قراءات

كثيرة . وكذا قوله فى الرواية الأخرى « سمعته يقرأ أحرفاً لم يكن رسول الله ـ صلى الله علية وسلم أقرأنيها » . اه .

ومما يؤيد أن المراد أوجه من اللغات أن حكمة إتيان القرآن على سبعة أحرف التخفيف والتيسير على هذه الأمة فى التكلم بكتابهم كما خفف عليهم فى شريعتهم ، وهو كالمصرح به فى الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسأل الله معافاته ومعونته » وكقوله : « إن ربى أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف واحد فرددت عليه أن هون على أمتى ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف » . وكقوله لجبريل : « إنى أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتاباً قط » . وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أرسل للخلق كافة وألسنتهم مختلفة غاية الاختلاف ، كما هو مشاهد فينا ومن كان قبلنا مثلنا ، وكلهم مخاطب بقراءة القرآن ، قال تعالى : « فاقرءوا ما تيسر من القرآن » فلو كلفوا كلهم النطق بلغة واحدة لشق ذلك عليهم وتعسر ، إذ لا قدرة لهم على ترك ماعتادوه وألفوه من الكلام إلا بتعب شديد وجهد جهيد ، وربما لا يستطيعه بعضهم ولو مع الرياضة الطويلة وتذليل اللسان كالشيخ والمرأة ، فاقتضى يسر الدين أن يكون القرآن على لغات . اه

المبحث الرابع فى بيان أن اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير ، لا اختلاف تضاد وتناقض

اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبى صلى الله عليه وسلم اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض ، فان هذا محال أن يكون فى كلام

الله تعالى ؛ قال تعالى: « أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

قال الامام ابن الجزرى : وقد تدبرنا اختلاف القراءات فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال ، أحدها : اختلاف اللفظ لا المعنى ، الثانى : اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما فى شىء واحد ، الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما فى شىء واحد ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد .

فأما الأول: فكالاختلاف فى الصراط، وعليهم، ويؤوده، والقدس، ويحسب ، ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط .

وأما الثانى: فنحو مالك وملك فى الفاتحة، لأن المراد فى القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه . وكذا يكذبون ويكذبون ، لأن المراد بهم المنافقون ، لأنهم يكذبون بالنبى صلى الله عليه وسلم ويكذبون فى أخبارهم . وكذا ننشرها بالراء والزاى ، لأن المراد بهما هى العظام ، وذلك أن الله تعالى أنشرها أى أحياها ، وأنشزها أى رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت ، فضمن الله المعنيين فى القراءتين .

وأما الثالث : فنحو « وظنوا أنهم قد كذبوا» بالتشديد والتخفيف . وكذا « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى ، وبكسر اللام الأولى وفتح الثانية . وكذا « الذين هاجروا من بعد ما فتنوا » بالتسمية والتجهيل . وكذا « قال لقد علمت » بضم التاء وفتحها . وكذا ما قرىء شاذاً ؛ وهو « يطعم ولا يطعم » عكس القراءة المشهورة . وكذا « يطعم ولا يطعم » على التسمية فيهما ، فان ذلك كله وإن اختلف لفظاً ومعنى ، وامتنع اجتماعه فى شىء واحد ، فانه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض .

فأما وجه تشديد كذبوا ، فالمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم ، ووجه التخفيف أى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به ، فالظن فى الأولى يقين والضمائر الثلاثة للرسل ، والظن فى القراءة الثانية شك ، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم .

وأما وجه فتح اللام الأولى ورفع الثانية من «لتزول» فهو أن تكون أن مخففة من الثقيلة ، أى وإن مكرهم كان من الشدة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها . وفى القراءة الثانية إن نافية ، أى ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام ، ففى الأولى تكون الجبال حقيقة ، وفى الثانية مجازاً .

وأما وجه «من بعد مافتنوا» على التجهيل؛ فهو أن الضمير يعود للذين هاجروا وفى التسمية يعود إلى الخاسرين .

وأما وجه ضم تاء علمت ، فانه أسند العلم إلى موسى حديثاً منه لفرعون حيث قال : « إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » فقال موسى عن نفسه : «لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر» . فأخبر موسى عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك ، أى إن العالم بذلك ليس بمجنون ، وقراءة فتح التاء أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع لشدة معاندته للحق بعد علمه .

وكذلك وجه قراءة الجماعة يطعم[1] بالتسمية ولا يطعم[2] على التجهيل: أن الضمير فى «وهو» يعود إلى الله تعالى، أى والله تعالى يرزق الخلق ولا يرزقه أحد. والضمير فى عكس هذه القراءة يعود إلى الولى، أى والولى المتخذ يرزق ولا يرزق أحداً . والضمير فى القراءة الثالثة يعود إلى الله تعالى ، أى والله يطعم من يشاء ولا يطعم

(١) بكسر العين . (٢) بفتح العين .

من يشاء . فليس فى شىء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض . وكل ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة رده ولزم الايمان به وأنه كله منزل من عند الله ، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الايمان بها كلها واتباع ماتضمنته من المعنى علماً وعملا، ولا يجوز ترك موجب إحداها لأجل الأخرى ظناً أن ذلك معارض . وإلى ذلك أشار ابن مسعود رضى الله عنه بقوله : «لا تختلفوا فى القرآن ولا تنازعوا فيه فانه لايختلف ولا يتساقط، ألا ترون أن شريعة الاسلام فيه واحدة، حدودها وقراءتها، وأمر الله فيها واحد ؟ ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشىء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله ، ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها ، فانه من كفر بحرف منه كفر به كله » ، قال ابن الجزرى : وإلى ذلك أشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال لأحد المختلفين: أحسنت . وفى الحديث الآخر: أصبت، وفى الآخر: هكذا أنزلت ، فصوب النبى صلى الله عليه وسلم قراءة كل من المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله ، وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء ، فان اختلاف القراء كله حق وصواب، نزل من عند الله وهو كلامه ولا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادى، والحق فى نفس الأمر فيه واحد ، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب فى نفس الأمر ، نقطع بذلك ونؤمن به ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له وميلا إليه لا غير ذلك ، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة الاقراء ورواتهم : المراد بها أن ذلك القارىء أو ذلك الراوى اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به

وقصد فيه وأخذ عنه ، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء ، وهذه الاضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد . اهـ

وبهذا يندفع ماعساه أن يقال : بين الحديث والآية تناف، فان قوله عليه الصلاة والسلام لكل من المختلفين : هكذا أنزلت ، أثبت الخلاف، وقوله تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » نفاه .

التتمة

فى بيان فوائد اختلاف القراءات

وفى اختلاف القراءات وتنوعها ، مع السلامة من التضاد والتناقض ، فوائد غير ما تقدم من التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة .

منها : بيان حكم مجمع عليه : كقراءة سعد بن أبى وقاص وغيره : وله أخ أو أخت من أم ، فان هذه القراءة تبين أن المراد بالاخوة هنا هم الاخوة للأم ، وهذا أمر مجمع عليه ، ولذلك اختلف العلماء فى المسألة المشتركة وهى : زوج وأم أو جدة واثنان من إخوة لأم وواحد أو أكثر من إخوة الأب والأم ، فقال الأكثرون من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الاخوة لأنهم من أم واحدة، وهذا مذهب مالك والشافعى وإسحاق وغيرهم . وقال جماعة من الصحابة وغيرهم : يجعل الثلث لاخوة الأم ولا شىء لاخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة ، وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل وداود الظاهرى وغيرهم .

ومنها: ترجيح حكم اختلف فيه: كقراءة «أو تحرير رقبة مؤمنة» فى كفارة اليمين ففيها ترجيح لاشتراط الأيمان كما ذهب إليه الشافعى وغيره، ولم يشترطه أبو حنيفة.

ومنها: الجمع بين حكمين مختلفين: كقراءة: يطهرن ويطهرن بالتخفيف والتشديد

فينبغى الجمع بينهما ، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال .

ومنها : اختلاف حكمين شرعيين : كقراءة وأرجلكم بالخفض والنصب ، فان الخفض يقتضى فرض المسح ، والنصب يقتضى فرض الغسل ، فبينهما النبى صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره ، ومن ثم وهم الزمخشرى حيث حمل اختلاف القراءتين فى « إلا امرأتك » رفعاً ونصباً على اختلاف قولى المفسرين والنحاة .

ومنها : إيضاح حكم يقتضى الظاهر خلافه : كقراءة فامضوا إلى ذكر الله ، فان قراءة فاسعوا يقتضى ظاهرها المشى السريع ، وليس كذلك ، فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يتوهم منه .

ومنها : تفسير ما لعله لا يعرف : مثل قراءة : كالصوف المنفوش .

ومنها : ماهو حجة لأهل الحق ودفع لأهل الزيغ : كقراءة «وملكا كبيراً» بكسر اللام ، وردت عن ابن كثير وغيره وهى من أعظم دليل على رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة .

ومنها : ما هو حجة لترجيح قول بعض العلماء : كقراءة أو لمستم النساء ، إذ اللمس يطلق على الجس والمس ، كقوله تعالى « فلمسوه بأيديهم » أى مسوه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : لعلك قبلت أو لمست . ومنه قول الشاعر :

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدت وأعدانى فأتلف ما عندى

ومنها : ما هو حجة لقول بعض أهل العربية : كقراءة والأرحام بالخفض . وليجزى قوما ، على مالم يسم فاعله مع النصب .

ومنها: مافى ذلك من نهاية البلاغة وكمال الاعجاز وغاية الاختصار وجمال الايجاز إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان فى ذلك من التطويل .

ومنها: مافيه من عظيم البرهان وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد . وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم .

ومنها: سهولة حفظه وتيسر نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فان من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملا من الكلام تؤدى معانى تلك القراءات المختلفات ، لاسيما فيما كان خطه واحداً فان ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً .

ومنها : إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم فى تتبع معانى ذلك ، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ ، واستخراج كمين أسراره وخفى إشاراته ، وإنعامهم النظر ، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل، والترجيح والتفصيل، بقدر ما يبلغ غاية علمهم ويصل إليه نهاية فهمهم . « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى » والأجر على قدر المشقة .

ومنها : بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى وإقبالهم عليه هذا الاقبال والبحث عن لفظة لفظة ، والكشف عن صفة صفة، وبيان صوابه وتحرير تصحيحه وإتقانه ، حتى حموه من خلل التحريف ، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكا ولا تسكيناً، ولا تفخيما ولا ترقيقاً،

حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الامالات ، وميزوا بين الحروف بالصفات مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم ، ولم يصل إليه إلا بالهام بارىء النسم .

ومنها : ما ادخره الله تعالى من المنقبة العظيمة والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السند الالهى بسندها خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية ، وإعظاما لقدر أهل هذه الملة الحنيفية . فكل قارىء يوصل حروفه بالنقل إلى أصله ، ويرفع ارتياب الملحد قطعاً بوصله . فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت .

ومنها : ظهور سر الله تعالى فى توليه حفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز. فان الله تعالى لم يخل عصرا من الأعصار ولو فى قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته، يكون سببا لوجود هذا السبب القويم على مر الدهور، وبقاؤه دليلا على بقاء القرآن العظيم فى المصاحف والصدور .

وقد خص الله تعالى هذه الأمة فى كتابهم هذا المنزل على نبيهم صلى الله عليه وسلم بما لم يكن لأمة من الأمم فى كتبها المنزلة ، فانه سبحانه وتعالى تكفل بحفظه دون سائر الكتب ولم يكل حفظه إلينا . قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وذلك إعظام لأعظم معجزات النبى صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى تحدى بسورة منه أفصح العرب لسانا وأعظمهم عناداً وعتواً وإنكاراً فلم يقدروا على أن يأتوا بآية مثله . ثم لم يزل يتلى آناء الليل وآناء النهار مع كثرة الملحدين وأعداء الدين ، ولم يستطع أحد منهم معارضة شىء منه، وأى دليل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم أعظم من هذا .

وأيضاً فان علماء هذه الأمة لم تزل من الصدر الأول لآخر وقت تستنبط منه من الأدلة والحجج والبراهين والحكم وغيرها ما لم يطلع عليه متقدم ولا ينحصر لمتأخر، بل هو البحر العظيم الذى لاقرار له ينتهى إليه ولا حد له يوقف عليه. ومن ثم لم تحتج هذه الأمة إلى نبى بعد نبيها صلى الله عليه وسلم كما كانت الأمم قبل ذلك لم يخل زمان من أزمنتهم عن أنبياء يحكمون أحكام كتابهم ويهدونهم إلى ما ينفعهم فى عاجلهم ومآبهم، قال الله تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله » فوكل حفظ التوراة إليهم . ولهذا دخلها بعد أنبيائهم التحريف، والتبديل . ولما تكفل الله تعالى بحفظه خص به من شاء من بريته ، وأورثه من اصطفاه من خليقته، قال تعالى: « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » وقال صلى الله عليه وسلم: «إن لله أهلين من الناس» قيل من هم يارسول الله ؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » رواه ابن ماجه وأحمد والدارمى وغيرهم من حديث أنس باسناد رجاله ثقات اهـ . من النشر ، والجامع ، والكواكب الدرية ، ملخصاً .

على محمد الضباع

شيخ عموم المقارىء المصرية

كتاب الله

من كلمات سيدنا أبى بكر رضى الله عنه :

هذا كتاب الله فيكم ، لا يطفأ نوره ، ولا تنقضى عجائبه، فاستضيئوا بنوره ، وانتصحوا به ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة .